داود باشا

ونهضة العراق الأدبية

في القرن التاسع عشر

للمرحوم الأستاذ رزوق عيسى

(تتمة ما نشر في العددين السابقين)

أعجب داود باشا بهذه القريحة كل الإعجاب فأهدى إلى ناظمها إمامة قليون نفيسة فأنشد الشيخ طرباً .

إليّ إمامة القليون وافت ... فتاهت في محاسنها عيوني
من المولى المشير إلى المعالي ... بأيد حطت الفضلاء دوني
فقبلها في ألف وناد ... مفاكهة القوم يجهلوني
أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع الإمامة تعرفوني

وقد مدحه بطرس كرامة بقصائد عديدة منها قوله :

وزير إذا ما سار في حلبة العلى ... على مهل يأتي أمام ذوي الركض
هو البدر للمجد الرفيع وللندا ... وللعلم والعليا هو الحكم المرضى
وذو الحزم والرأي السديد مؤيدٌ ... بكل صواب ما يقول وما يمضي
مهيبٌ حليمٌ جهبذ متحلبب ... من العلم والآداب بالشرف المحض

ومنها قوله :

إن البلاغة والبراعة ... عند داود الوزير
وسمت من ألفاظه ... داود يلهج بالزبور
فكأنما آدابه ... روض تنوع بالزهور
إن قال نظما خلته ... بعقوده درر النحور
صدر العلوم وبدرها ... بدر لكل ذوي الصدور
شهم إذا حضر النزا ... ل يصول كالأسد الهصور

وقد مدحه أيضاً عبد الغفار الأخرس الشاعر العراق الذائع الصيت بقصيدة أرسلها إلى الأستانة نقتطف منها هذه الأبيات :

يوادي الغضا للمالكية أربع ... سقتها الحيا منا جفون وأدمع
ومرتع لهو كان للريم ملعباً ... على أنه للضيغم الورد مصرع

إلى أن قال :

أراني مقيما بالعراق على ظما ... ولا منهل للظامئين ومرتع
وكيف يورد الماء والماء آجن ... يبل به هذا الغليل .ويقنع
لعل وما يجدي لعل وربما ... غمائم غم أطبقت تتقشع
يعود زمان مرّ حلو مذاقه ... وشمل أحبائي كما كان يجمع

***

وكنت إذا طاشت سهام قسيها
وقتني الردى من صنع (داود) أدرع
فمن جوده أني ربيت بجوده ... وزير له الإحسان والجود أجمع

الشرفاء قلة ولكنها محترمة لأنها كانت في أمانه فوصلت .. هذه القلة لم تساعدها كيمياء الحظ مساعدتها لعبد الشكور ، وإن كان لم يبخل على اجتهادها بقطرة .. ولكن ذلك العبد الشكور الذي أصبح غنياً في سنة أو اثنتين لا نستطيع أن نُجري غناه على سَنَن الشرف ... وإلا فما أيسر الغنى وما أسهل أن تكون غنياً ... والحقيقة أن هناك مانعاً بسيطاً يحول بينك وبين الغنى المفاجيء ... أتدريه ؟ ... إنه الضمير ! ! انزعه من بين ضلوعك واقذف به على سلم الفقر الذي تقف عليه تجد نفسك ارتقيت درجات الغنى بخفة وسرعة ، ولكنه غنى رخيص

— ترى أينفك ترة تحفظها لعبد الشكور ؟ أم إنها ... ؟ !

— لا ! إنها ترة كل مواطن استنزف عبد الشكور قوته وقوت عياله . إنها ترة وطن ودين وخلق ، وليس في هذا الكلام ما يشفي هذه الترة ، ولكن هناك واجباً على الحكومة لا بد أن تقوم به .

— ويلك وما ترى الحكومة فاعلة ؟ !

— كأنك لم تسمع ! لقد سنّت مشروع قانون تسألهم فيه « من أين لكم هذا ؟ » ولكن يظهر أن « بكم تبيع ؟ » أومضت فجأة في عيون الموظفين فشى المشروع بنفسه إلى درج من الأدراج ونام ، وعلى الناس السلام ... أريد من الحكومة أن تفتح الدرج وتوقظ مشروع القانون ، أريد منها أن تمنع الموظفين الكبار أن يسمعوا تلك الكلمة السامة التي إذا لم تصب الهدف في الرمية الأولى أصابته في الثانية أو في الثالثة ... بكم تبيع ؟ !

ثروت أباظة

وردّ شموس الفضل بعد غروبها كما ردها من قبل ذلك يوشع
وقام له فى كل منـــبر مدحة
خطيب من الأقلام بالفضل مصقع

ومستودع علم النبيين صدره ولله سر فى معاليه مودع
كأن ضياء الشمس فوق جبينه على وجهه النور الإلهى يسفع
وزير ومرّ الحادثات تزيده ثباتاً وحلماً فهو إذ ذاك أروع

***

(أبا حسن) هل أوبة بعد غيبة فللبدر فى الدنيا مغيب ومطلع
لئن خليت منك البلاد التى خلت فلم يخل من ذكرى جميلك موضع
فى كل أرضٍ من أياديك ديمة
وروض إذا ما أجدب الناس ممرع

يفيض الندى من راحتيك وإنها حياض بنو الآمال منهن تكرع
وإنى على خصب الزمان وجدبه إليك وإن شط المزار لأهرع
ولو أننى وفقت للخير أصبحت نياق بأرض الروم تحدى وتسرع

وكان المترجم مكرماً ومحبوباً من الجميع لما كان يأتيه من العدالة والمساواة والاخاء ، وقد مدحه الشيخ صالح التميمى وعدد مناقبه بقصيدة طويلة نثبت منها ما يلى :

زهت الرياض وغنت الأطيار وزها المقام ورنّت الأوتار
وصفا بها العيش الأنيق وروقت فيها المياه وجادت الأمطار
وعلت على دوح الأراك حمائم وتزاهرت بفنائها الأقمار
وزها بها ورد الاقاح ونرجس وشقائق النعمان والأزهار

وبعد أن مكث فى الآستانة مدة عيّنه السلطان عبد المجيد شيخاً على الحرم النبوى ، وأرسله إلى المدينة المنورة عام ١٢٦٠هـ ١٨٤٤ م ، وهناك أكب على الدرس والمطالعة والتأليف والتعليم وهو شيخ ، وقد أفاد أهل المدينة من وجوه كثيرة ، وكان الغرض الذى ينشده هو أن يؤسس كلية إسلامية فقهية تكون بمثابة كعبة للعلوم الدينية يؤمها جميع الطلاب المسلمين من أقصى أطراف المعمور وذلك لإنارة أذهانهم وتوسيع نطاق معرفتهم بيد أن المنية أنشبت أظفارها به قبل بلوغ المرام فى سنة ١٢٧٧هـ ١٨٥١ م وقد عظم موته على جميع معارفه ومحبيه لما كان له من الدالة عليهم والمنزلة الرفيعة بين ظهرانيهم ودفن بحذاء مدفن عثمان بن عفان ، وقد أوصى قبيل موته أن لا تبنى قبة على ضريحه بل أن ينصب شباكا من الحديد حول قبره ووقف فى المدينة بستانه العامر المسمى بالداودية ، وكان قد أرّخ بناءه وغرس أشجاره الشيخ صالح التميمى بقصيدة عامرة الأبيات فأعجب بها الوزير غاية الإعجاب حتى أنقده ألف ريال ، وكان رحمه الله ندى الكف للعلماء والشعراء والأدباء ، وقد غمر الكثيرين منهم بالجوائز والصلات السنية مقتدياً بالخلفاء العباسيين الذين كانوا يسبغون العطاء على أرباب العلم والأدب .

ومما يجدر بنا أن نجمله مسك الختام لسيرة هذا العالم العامل هو إنشاؤه خزانة كتب فى المدينة وقد جمع فيها طائفة كبيرة من التصانيف على اختلاف موضوعاتها وبينها مخطوطات عديدة ، وإن أردنا أن نلمّ بكل الاصلاحات التى قام بها فى بغداد والآستانة ضاق بنا المقام عن نشرها ، ولما نعته الصحف رثاه شعراء عصره من عراقيين وسوريين بقصائد عددت مناقبه الحميدة وما كان له من الهمة الشماء واليد البيضاء فى نشر العلم والأدب فى الأقطار العربية . وقد جمع أحد أدباء بغداد كل القصائد التى نظمت فى مدحه والثناء على عبقريته وهذا الكتاب لا يزال خطياً .

(بغداد) رزوق عيسى

إعلان

تعلن كلية الطب عن وجود وظائف خالية بها لمبتدين فى الدرجة السادسة كل الوقت بالأقسام العلمية بمدرسة الطب . ويشترط فيمن يعين أن يكرس وقته كله للعمل وأن يتخصص فى العلوم العلمية دون الإكلينيكية . وتحدد ميعاد لقبول الطلبات عشرة أيام من تاريخ النشر ٦٧٠٣